التقرير الإستراتيجي

في سبيل وعي إستراتيجي يضمن مصالح الأمة

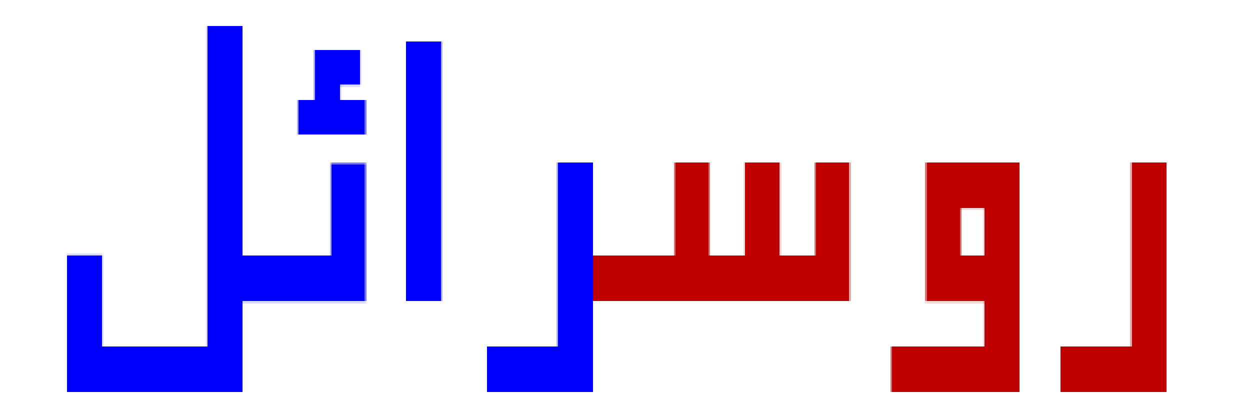
منظمة الطليعة العربية في تونس
أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة
لا تراجع بل خطوة الى الامام

نشرة تثقيفية دورية منشورات منظمة الطليعة العربية في تونس العدد 185 أوت 2020

روسرائيل

حول المصالح المشتركة بين روسيا وإسرائيل





حول المصالح المشتركة بين روسيا وإسرائيل

تمهيد

يقول أستاذ العلاقات الدولية في معهد الدراسات السياسية في باريس، برتران بادي: "إنه قانون عام للعلاقات الدولية، بين الدول هناك دائماً الحد الأدنى من التواطؤ بقدر ما يوجد مصالح مشتركة." لذا فإنّ إختلاف التحالفات والعلاقات بين روسيا وإسرائيل لم يمنع من وجود مصالح مشتركة بينهما تبلور العديد منها باتفاقيات وشراكات لعدد من السنوات. فضلاً عن الحوارات والزيارات المتبادلة بين الطرفين بشكل دوري. وقد تعددت الموضوعات السياسية والإقتصادية التي ساهمت في تطوير العلاقات الروسية الإسرائيلية، والتي ستيطرق إليها هذا المبحث.

الفقرة الأولى: المصالح السياسية والعسكرية بين روسيا وإسرائيل

رغم الأزمات التي تفاقمت أحياناً بين روسيا وإسرائيل لا سيما بعد الحرب الجورجية (2008) لكنَ التوتر بينهما لم يصل إلى درجة قطع العلاقات الدبلوماسية كما حدث في عهد الإتحاد السوفياتي عام 1953 إثر انفجار قنبلة في مقرّ البعثة الدبلوماسية السوفياتية في "تلّ أبيب"، ثمّ أُعيدت في نفس العام بعد وفاة ستالين.[1] فمنذ بداية الحرب بين موسكو وتبليسي، إستخدمت إسرائيل كل صلاحياتها الدبلوماسية لإسترضاء الكرملين ومنعه من اتخاذ إجراءات إنتقامية ضدها، بعد الإنتقادات الروسية الشديدة لدورها في تدريب الجيش الجورجي وتسليحه. كذلك قُطعت هذه العلاقات عندما رفضت إسرائيل الإنسحاب من الأراضي العربية التي إحتلتها في حرب 1967، لتعود بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي (1991).

ساهم غياب العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل في تفرد الولايات المتحدة بالنظام الإقليمي الشرق أوسطي، وكان هناك يقينٌ بأنَ لعب دور روسي فاعل في المنطقة يتطلب أولاً إعادة هذه العلاقات. فكان بوتين أول زعيم للكرملين يزور "إسرائيل" في أبريل 2005، مقدّماً تمثالًا لذكرى اليهود الذين قضوا في الهولوكوست. جاءت الزيارة كخطوة هامة في تعزيز العلاقات الثنائية، في الوقت الذي بدأت فيه روسيا إتباع سياسة خارجية أكثر عدائية تجاه الغرب عقب الثورات الملونة في جورجيا، أوكرانيا... وقد أخبر بوتين مضيفيه الإسرائيليين في هذه الزيارة: "لدينا كل شروط النجاح، والأهم من ذلك، أنّ هناك إرادة ورغبة من كلا الجانبين لتعزيز صداقتنا وثقتنا وتعاوننا وبناء شراكة بنّاءة معًا".[2] أعقَب ذلك زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت لروسيا في أكتوبر 2007. كما لاقى إنتخاب فلاديمير بوتين رئيساً لروسيا ترحيباً إسرائيلياً لافتاً، في الوقت الذي عبرّت فيه معظم الدول عن إستيائها وإنتقادها للإنتخابات التشريعية والرئاسية الروسية. حيث لم يُخفِ أفيغدور ليبرمان إعجابه الشديد ببوتين وكان من أكثر المرحّبين بإعادة إنتخابه عام 2004 معتبراً أنه من "القادة الذين يُفضّل الإحتذاء بهم".[3]

تكررت الزيارات الرسمية بين الطرفين لا سيما على مستوى وزراء الخارجية. حيث زارت موسكو تسيبي ليفني وزيرة الخارجية الإسرائيلية في يوليو 2006، وزار وزير الخارجية الروسية سيرغي لافروف

---

[1]– خالد سعيد، **المهاجرون الروس قادمون.. "إسرائيل" الى أين؟!**، مركز باحث للدراسات الفلسطينية والإستراتيجية، بيروت، 2014، ص 41.

[2]– Ilya Bourtman, "Putin and Russia's middle eastern policy", **Middle East Review of International Affairs Journal**, Rubin Center for Research in International Affairs, vol.10, No.2, June 2006, p.2.

[3]– عدنان أبو عامر، "العلاقات الروسية الإسرائيلية: المصالح المشتركة والتحالف الإستراتيجي"، **علاقات اسرائيل الدولية السياقات والأدوات الإختراقات والإخفاقات**، إعداد عاطف أبو سيف، مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، 2014، ص203.

"إسرائيل" على التوالي في أكتوبر 2005، سبتمبر 2006، يونيو 2007، مارس 2008... ثمّ أصبحت هذه الزيارات الروتينية تقليداً مميزاً بهدف تطوير العلاقات الثنائية، أيضاً فقد زار جميع رؤوساء الحكومات الإسرائيليّة في العقد الأخير –شارون وأولمرت ونتنياهو– موسكو. وخصوصاً نتنياهو الذي قصد موسكو أربع مرات بين أغسطس 2015 ويونيو 2016.

في يونيو 2012 زار الرئيس الروسي بوتين "إسرائيل" للمرة الثانية، بمناسبة إفتتاح نُصب لجنود الجيش الأحمر في مدينة ناتاليا، الذي أُقيم من الأموال التي جمعها رجال الأعمال اليهود الروس. هدفت الزيارة لإبراز الدور الروسيّ في الشرق الأوسط في ظلّ التطورات التي تشهدها المنطقة وخصوصاً في سوريا. ولتؤكّد النهج البراغماتي النفعيّ الذي تتبعه روسيا في علاقاتها الخارجيّة، وتمثّل ردًّا على من لا يزال يظنّ أنّ روسيا اليوم هي الاتحاد السوفياتي في علاقاته مع العرب وقضاياهم.

عشية زيارة بوتين إلى "إسرائيل" في يونيو 2014، إعتبرت صحيفة فيدوموستي الروسية أنّ بوتين يُعدّ من "أشد المناصرين لإسرائيل في أوساط النخبة الروسية الحاكمة". خلال هذه الزيارة صرّح الرئيس الروسي أنّ "التاريخ اليهودي محفور في حجارة القدس". في المقابل كان أرييل شارون قد أكّد في آخر زيارة له إلى موسكو في نوفمبر 2003، أنّ إسرائيل تعتبر روسيا "أحد أهم اللاعبين على الساحة الدولية، وأنّ بوتين صديق حقيقي لإسرائيل تُثمن ضماناته الشخصية التي غالباً ما يكررها بصدد أمن دولة إسرائيل".[1]

أمّا المصالح الإسرائيلية الروسية المشتركة فتتمثل في إضعاف الحركات الإسلامية في العالم، التي تُشكّل تهديداً مباشراً للأمن القومي لكلا الطرفين. فقد شبّه بوتين صراع روسيا ضد الإرهاب بصراع إسرائيل ضده، وكثيراً ما قورنت المشكلة الشيشانية بالقضية الفلسطينية. لذا كانت إسرائيل من الدول القليلة التي لم تنتقد الإجراءات التي اتخذها بوتين في الشيشان. في العام 2000 زار عضو الكنيست ناتان شارانسكي روسيا، وعبّر عن دعم المنظمات الحكومية الإسرائيلية لروسيا ضد "المتطرفين" الشيشان. كما كانت إسرائيل من أوائل الجهات التي دعمت موسكو في سبتمبر 2004 بعدما استولت مجموعة متطرفة على مدرسة في بيسلان، شمال أوسيتيا، فأحضرت الأطفال الـ18 وآباءهم في رحلة علاجية إلى إسرائيل، بينما انتقدت واشنطن وبعض الدول الغربية إدارة بوتين لهذه الأزمة.[2] وقال إيهود أولمرت، نائب رئيس الوزراء

---

[1]– خطار أبو دياب، **لعبة روسيا وإسرائيل من المتوسط إلى القوقاز**، صحيفة العرب اللندنية، العدد 10247، 16 ابريل 2016.

[2]– Anna Borshchevskaya, **Putin's Self-Serving Israel Agenda**, foreign affairs, April 13, 2017.

الإسرائيلي آنذاك، في نوفمبر 2004 "أعتقد أنّ هناك إدراكًا متناميًا في روسيا بأن عليهم (الروس) أن يصبحوا أكثر إستعدادًا لهجمات إرهابية في المستقبل، وأنّه من الجيد مقارنة الملاحظات معنا."[1]

إنّ الرغبة في محاصرة الحركات الإسلامية دفعت كلاً من روسيا وإسرائيل لإجراء تدريبات مشتركة منذ العام 2004 وتوثيق التعاون الإستراتيجي والأمني بينهما. فقد ورد على نطاق واسع في الصحافة الروسية والإسرائيلية، أنّ ديمتري كوزاك، مبعوث بوتين إلى منطقة شمال القوقاز، قد أمضى معظم الوقت منذ تعيينه في مارس 2004 وهو يتنقل بين موسكو وتل أبيب يوقّع على صفقات مكافحة الإرهاب.

من جهة أخرى، يتضح تعاطف القيادة الروسية مع إسرائيل في مواجهتها مع الفلسطينيين، من خلال تصريح بوتين على مقتل الفتيان الإسرائيليين الثلاثة في يونيو 2014، حيث قال بوتين أثناء لقائه في موسكو حاخامات إسرائيليين: "أساند كفاح إسرائيل حين تحاول حماية مواطنيها، سمعت عن عملية قتل الفتيان الثلاثة المروعة، هذا عمل لا يجوز السماح به، وأرجوكم نقل تعازيّ الخاصة لأسرهم."[2]

إنّ النظرة الروسية فيما يتعلق بالحركات الإسلامية تختلف إلى حدٍّ كبيرٍ عن النظرة الإسرائيلية. فإسرائيل تصنف "حماس والجهاد الإسلامي وحزب الله" بأنها تنظيمات إرهابية يُحظَر التعامل معها، بينما روسيا تعتبرها حركات مقاومة وتتواصل معها وتعترف بشرعيتها. وكثيراً ما قارن الإسرائيليون دعوة بوتين لحماس إلى موسكو بدعوة إسرائيلية إفتراضية للقادة الشيشان، وبأنّ الروس سيشعرون بالسوء الشديد إذا قامت إسرائيل بدعوة المنظمات الإرهابية الشيشانية إلى "إسرائيل" ومنحهم الشرعية. مع ذلك يلتقي الطرفان في توظيف "الأصولية الإسلامية" لجنيّ مكاسب سياسية وأمنية، لا سيما ما يتعلق بربط بعض الفصائل الإسلامية بتنظيم "القاعدة". فقد ربطت إسرائيل منذ أحداث 11 أيلول 2001 الفصائل الفلسطينية ذات التوجهات الإسلامية كحماس والجهاد الإسلامي بتنظيم "القاعدة". فهذا الأخير أطلق تهديداته لإسرائيل عبر الأشرطة المصورة ومواقع الإنترنت، ما أثار هواجس الإسرائيليين من إنشاء فرع "للقاعدة" في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتُرجم هذا الخوف في إسرائيل عبر تقارير تظهر بين الحين والآخر تُنبّئ بإنشاء خلايا "للقاعدة" في غزة. وازدادت كثافة هذه التقارير مع الإنسحاب الإسرائيلي من غزة (صيف 2005).[3]

---

[1]- Ilya Bourtman, **Putin and Russia`s...**, op.cit. p3.

[2]- نيقولاي سوركوف، **إسرائيل أهم في موسكو من العالم العربي**، موقع العربي الجديد، 10 أغسطس 2014.

[3]- خالد وليد محمود، **أفاق الأمن الإسرائيلي...**، مرجع سابق، ص119، 120.

من المصالح الروسية الإسرائيلية أيضاً التعاون العسكري والأمني، بدءاً من إتفاق الصناعات العسكرية عام 1995 حيث وقّعت وزارة الدفاع الروسية إتفاقيات واسعة مع إسرائيل، تشمل توريد وتطوير عدة أنواع من الأسلحة الروسية، والتي بدأها وزير الدفاع الروسي بافل جراتشيف، وجُدد الإتفاق عام 2000. كان لإسرائيل دور في تحديث الجيش الروسي، وأصبحت مصدراً مهماً للتقنية العسكرية الروسية. فقد أصبح الصناعيون الإسرائيليون متخصصين في تطوير أنظمة الأسلحة السوفياتية السابقة (دبابات T-72 و T-80 ، وطائرات مقاتلة من طراز MiG-21، MiG-29، Su-25، وطائرات هليكوبتر من طراز Mi-8، Mi-24). وقد توصّل الإسرائيليون والروس إلى واحدة من أفضل صفقاتهم في أكتوبر 2003، عندما وقّعوا إتفاقاً لتسليم الهند أنظمة للإنذار المبكر تجمع بين التكنولوجيا الإسرائيلية ومنصة طائرات روسية. تتمتع إسرائيل وروسيا بعلاقات تجارية عسكرية ممتازة مع الهند والصين، وقد ساعدت ترتيبات التعاون الصناعي هذه في جعل إسرائيل رابع مصدّر عالمي للأسلحة في عام 2007.[1]

في العام 2005 وضع الخبراء الإسرائيليون والروس خطة مشتركة لإقامة سياج أمنيّ في الشيشان، على غرار النموذج الإسرائيلي في الضفة الغربية.[2] في سبتمبر من العام نفسه زار وزير الأمن، إيهود باراك موسكو لتوقيع عقد بقيمة 400 مليون دولار لبيع طائرات بدون طيار لروسيا، وقال حينها كلمات جديرة بالذكر : "إسرائيل تعتبر روسيا شريكاً رئيسياً لكن أيضاً قوة كبيرة تلعب دوراً كبيراً في الشرق الأوسط".[3]

في سبتمبر 2010 وقع وزير الدفاع الروسي أناتولي سيرديوكوف ونظيره الإسرائيلي إيهود باراك إتفاقية تعزيز التعاون العسكري والأمني، التي أدخلت الطرفين في عملية شراكة مدة 5 سنوات قابلة للتجديد، إشترت روسيا بموجبها 12 طائرة بدون طيار "هيرمس". فروسيا ترغب في الحصول على هذه الطائرات لأنها أثبتت – وفقًا للقادة العسكريّين الروس– نجاعتَها في حرب جورجيا، فيما يتعلّق بجمع المعلومات الاستخبارية، مقارنةً بنظيراتها الروسية قديمة الطراز ، ولاستخدامها في مراقبة الحدود مع الشيشان، وأيضاً في جورجيا وأوكرانيا. كما تشمل الإتفاقية إعداد الكوادر الفنية والحربية، وتبادل المعلومات الأمنية، والمسح الطبوغرافي، ودراسات التاريخ العسكري... من جهة ثانية تستفيد روسيا من هذه الصفقة العسكرية، بطريقة غير مباشرة، من خبرة المهاجرين الروس الذين هاجروا إلى "إسرائيل" إبان إنهيار

---

[1] -Pierre Razoux, **The keys to understanding the Israel-Russia relationship**, NATO Defense College, No.42, November 2008, p.4.

[2]- Salomé Stoikovitch, **Relations Israël – Russie: alliance ou défiance?**, Diploweb, 16 décembre 2012.

[3]- Pierrette Beaudoin, **Russie-Israël : Les raisons d'un rapprochement**, revue d'argument, été 2016.

الإتحاد السوفياتي. كما تضمن من خلالها عدم إختراق إسرائيل لحديقتها الخلفية كما حصل مع جورجيا. أما الإستفادة الإسرائيلية فتكمن في تسويق المنتجات العسكرية الإسرائيلية في روسيا، والدخول إلى أسواق جديدة لبيع الأسلحة الإسرائيلية كالهند وتركيا... كما تكمن في إمكانية الضغط على روسيا بعدم تسليح حلفائها، فقد منحت هذه الإتفاقية إسرائيل حق الإعتراض على أيّة صفقة سلاح يمكن أن تحدث بين روسيا وأيّة دولة معادية لأنّ ذلك يتطلب موافقة الدولتين المصنّعتين.[1]

في إطار التعاون الأمني أيضاً، أعلنت الحكومتان في 1 يونيو 2014 إنشاء خطٍّ مشفر بين مكتبيْ بوتين ونتنياهو. وبالتالي سيكون قادتهما قادرين على "مناقشة مختلف القضايا المتعلقة بالمصالح الرئيسية للبلدين دون تدخل مباشر من الولايات المتحدة". حتى الآن، لم تنفّذ إسرائيل هذا النظام إلاّ مع واشنطن.[2]

صحيحٌ أنّ المصالح هي التي جمعت روسيا وإسرائيل، لكنّ مجموعة من المعطيات السياسية التي تبدلت في المنطقة ساهمت في تطوير هذه العلاقات. منها مثلاً، التغير الحاصل في طبيعة الصراع الإقليمي في المنطقة من صراعٍ عربيّ-إسرائيليّ إلى صراعٍ عربيّ- إيرانيّ، وإلى صراع عربيّ-عربيّ. فالدول التي كانت تمتنع عن التعاون مع إسرائيل إكراماً للعرب وللفلسطينيين، وتضامناً معهم، لم تعد بحاجة إلى التقيّد بموجبات هذه السياسة. ففي ديسمبر 1956 إنسحبت إسرائيل من غزة التي احتلتها خلال العدوان الثلاثي على مصر، نتيجة ضغط عدة دول في مقَدمتها الإتحاد السوفياتي الذي هدّد باستخدام السلاح النووي لرفع العدوان عن مصر. بينما في ديسمبر 2008 تطلّع الكثيرون في العالم العربي إلى أن تقوم روسيا بالفعل ذاته لتخفيف الجرائم الإسرائيلية في غزة، لكن لم يصدر أيّ شيء عن روسيا، بل كان هناك تفهّم لحق إسرائيل "بالدفاع عن نفسها". كذلك دعمت روسيا في العام 1991 إلغاء قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 3379 (الذي يصنف الصهيونية بالعنصرية)، على الرغم من أنّ الاتحاد السوفياتي أيّد إعتماد هذا القرار عام 1975. إنّ إنهيار الإتحاد السوفياتي لم يترافق فقط مع سقوط الأيديولوجيا الإشتراكية، بل أيضاً مع إختفاء اللاسامية من الخطاب والبروباغندا الروسية.

هذا المتغير ساهم في تعزيز الدول الصديقة للعرب (بما فيها روسيا) علاقاتها مع إسرائيل دون أن يؤدي ذلك إلى تراجع علاقاتها مع الدول العربية. ورغم أنّ سِجّل روسيا فيما يخصّ التصويت في مجلس الأمن

---

[1]- خالد ممدوح العزي، **العلاقة الروسية الإسرائيلية الجديدة ومدى تأثيرها على سورية وإيران**، مركز الشرق العربي للدراسات، لندن، 13 سبتمبر

[2]- Igor Delanoe, **Le grand jeu des alliances entre Moscou et Tel-Aviv, une étrange lune de miel**, le monde diplomatique, Septembre 2014, p9.

والجمعية العامة للأمم المتحدة على قضايا تهمّ إسرائيل، كانت معظمها سلبية، لكنّ إسرائيل تعاملت معه بوصفه شيئاً طبيعياً لا يستدعي الإعتراض، محاولةً توخي أقصى درجات الحذر فيما يخصّ القضايا المهمّة لروسيا. لم تكن روسيا يوماً عدوةً لإسرائيل، رغم نقد روسيا لمغامراتها العسكرية ونزعتها التوسعيّة، لكنّ روسيا لم تطعن في أسس وجودها بل دعتها للتصالح مع جيرانها العرب واتخاذ موقف معتدل.

يمكن القول أنّ العالم العربي بالنسبة لروسيا يقع في نطاق "الحلول الوسطية" وليس "الحلول الجذرية". فالعالم العربي ليس القوقاز أو آسيا الوسطى أو بحر البلطيق أو البحر الأسود، هذه المناطق التي تؤلف الحديقة الخلفية لروسيا. وإنما هو إقليم تتنازعه قوى إستعمارية متعددة وتنطلق منه حركات دينية وقومية متضاربة الأهداف. كذلك فيما يخصّ القضية الفلسطينية ليس لروسيا منهج آخر غير الحلول الوسطية، مع وجود نحو مليون مهاجر روسي وسوفياتي في فلسطين المحتلة، والدور السياسي والإقتصادي الذي يلعبه هؤلاء المهاجرين. فالمسؤولون الروس يكتفون بالتعبير عن قلقهم تجاه الجرائم التي ترتكبتها إسرائيل، وروسيا بكل تأكيد لن تقطع علاقاتها مع إسرائيل بينما العرب يقيمون معها علاقات علنية وسرية.

من جهة ثانية ساعدت سياسة أوباما الشرق أوسطية الإنكفائية-الترددية والسعيّ الروسيّ الى إستغلال ثغرات هذه السياسة في تطوير هذه العلاقات. حيث ساهمت في تقريب رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو من الرئيس الروسي بوتين. خصوصاً بعد أن تسببت أزمة أوكرانيا (2014) في اتساع هوة الخلاف بين موسكو والغرب. فإسرائيل التي أدارت ظهرها لإدارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما بسبب توتر العلاقات مع رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو خاصةً بعد توقيع الإتفاق النووي الإيراني(2015)، فضّلت التوجه نحو روسيا، رغم عدم الأمان الذي يسيطر عليها من الروس، إلاّ أنها مجبرة على ذلك بـ "لغة المصالح"، بعد تأكدها بأنّ إدارة أوباما لن تقدم لها شيئًا جديدًا في المنطقة، في ظلّ تحالفاتها المتوترة في المنطقة (مع تركيا والسعودية). ومع التهديد المتكرر من قبل أعضاء الكونجرس الأمريكي، بتقليص المساعدات المالية والعسكرية لدولة الإحتلال.

يقول الخبير العسكري الإسرائيلي في صحيفة معاريف ألون بن دافيد إنّ بلاده نجحت في تأسيس حوار دائم مع الروس قائم على الإحترام المتبادل، مضيفًا أنّ الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يرى في إسرائيل دولة قريبة منه، في ظلّ وجود أكثر من مليون مهاجر يهودي من روسيا يعيشون في إسرائيل، مشيرًا أنّ الرابح هو إسرائيل. وقد جمع لقاءٌ رئيس الحكومة الإسرائيلية نتنياهو والرئيس الروسي بوتين، في موسكو في 7 يونيو 2016، شارك فيه كلٌّ من رئيس شعبة الإستخبارات العسكرية بالجيش الإسرائيلي اللواء

هرتسي هليفي، ورئيس الموساد يوسي كوهين، ما اعُتبر مؤشرًا آخراً على تعميق العلاقات بين الطرفين على الصعيد الاستخباراتي.[1] كذلك يقول أليكسي دروبينين، نائب رئيس البعثة في السفارة الروسية في تلّ أبيب، "شهدنا العام الماضي الحوار السياسي الأكثر كثافة في التاريخ بين القدس وموسكو".[2]

لكن، وبالرغم من التوترات التي شهدتها العلاقات الأمريكية الإسرائيلية في الحقبة الأوبامية، إلاّ أنّه بدون المساعدات الأمريكية للكيان الصهيوني، لما استطاع البقاء إقتصادياً أو عسكرياً. فقد عملت الولايات المتحدة على إستمرار بقاء هذا الكيان بوضعٍ يتفوق على الدول العربية كافة. إنّ جوهر الخلاف بين الولايات المتحدة وإسرائيل يتعلق بنظرة كلٍّ منهما إلى حجم الدور الإسرائيلي في الخريطة السياسية والإقتصادية للشرق الأوسط –طبعاً لا خلاف بينهما حول إحتلال إسرائيل لأراضٍ عربية– فالولايات المتحدة ترى أنّ لإسرائيل دوراً رئيسياً في الخريطة الشرق أوسطية، لكن تحت الإشراف الكامل للإدارة الأمريكية. في حين تريد إسرائيل أن تكون القوة الإقليمية الوحيدة ذات النفوذ الدولي، وأن تكون الولايات المتحدة مجرد قوة داعمة لا قوة مشرفة. إنّ إسرائيل تطمح بأن تحصل على علاقات سياسية وإقتصادية مستقلة مع الدول العربية وغيرها من دول العالم، لتتجاوز بنفوذها منطقة الشرق الأوسط، وهذا ما برهنته إسرائيل من خلال علاقاتها التكنولوجية مع روسيا والصين والهند، وهو ما أغضب الولايات المتحدة.

وفي محاولةٍ إسرائيليةٍ لإستمالة الموقف والدعم الروسي، ظهرت في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في 27 مارس 2014، ودون المبالاة باستياء الولايات المتحدة، إمتنعت تل أبيب عن التصويت على قرار يدعو لعدم الإعتراف بضمّ شبه جزيرة القرم لروسيا. ولم تنتقد سياسة روسيا تجاه الأزمة الأوكرانية، بغية عدم إغضاب الروس وتجنباً للإنتقادات الخارجية حول مطالبتها بضمّ القدس والجولان السوري. والسبب الحقيقي لسكوت إسرائيل هو النفوذ المتعاظم لروسيا في الشرق الأوسط، باعتبار أنّ إسرائيل ستجد نفسها في مواجهة مع الكرملين في عدة قضايا مصيرية بالنسبة لها، كالبرنامج النووي الإيراني، ونزع الأسلحة الكيماوية السورية، إضافةً إلى كون روسيا أكبر حليف لسوريا وموّرد سلاح رئيسي في المنطقة. بالمقابل كافأ بوتين إسرائيل بتعميق التعاون الإقتصادي والأمني في وقتٍ تُضايقها فيه الدول الغربية بسبب توسيع الإستيطان، وتقوم منظمات المجتمع المدني الغربية بمقاطعة البضائع الإسرائيلية.

---

[1]– نادر الصفدي، **العلاقة الروسية الإسرائيلية: من الخاسر والرابح؟**، نون بوست، 11 يونيو 2016.

[2]– Seth j. Frantazman, **Despite Syria, israel-russia relations are the warmest in history**, Jerusalem Post, March 25, 2017.

إنّ المكاسب التي يمكن أن تجنيها روسيا من علاقاتها بإسرائيل، تتجلّى بأنّه لأول مرة منذ عام 1948 تشارك موسكو في عملية السلام العربي الإسرائيلي بدايةً في مؤتمر مدريد 1991 والمفاوضات التي تلته. ثم توقيع إتفاقيات أوسلو 1993، وأصبحت عضواً في الرباعية الدولية إلى جانب الولايات المتحدة، الإتحاد الأوروبي والأمم المتحدة. كما شاركت في إعداد "خارطة الطريق" عام 2002 التي كانت تهدف لإقامة الدولة الفلسطينية، وإن كانت هذه الورقة مستوحاة بشكل أساسي من الولايات المتحدة.[1] كما ذكر شمعون بيريس وفلاديمير بوتين "عملية السلام" خلال إجتماعهما في موسكو في نوفمبر 2012 حيث دعا بوتين لإستئناف المفاوضات وتمّ الإعتراف بدور الوسيط الروسي من قبل نظيره الإسرائيلي.[2] كما تطمح روسيا إلى لعب دور أكثر فاعلية في عملية السلام خصوصاً من البوابة السورية على اعتبار أنّ البوابة الفلسطينية محصورة بالطرف الأمريكي.

تتواجد روسيا اليوم بقوة في الشرق الأوسط، سياسياً كشريك وأحياناً كحليف لسوريا وإيران، عسكرياً تسلح العديد من دول المنطقة (لا سيما أعداء إسرائيل)، وإقتصادياً كشريك مهم لتركيا وغيرها. وبسبب هذا الوجود المتشعب لا بدّ لإسرائيل أن تؤدي زيارات متكررة إلى روسيا لإستمالة الموقف الروسي. من جهة ثانية تشكّل العلاقات الروسية الإسرائيلية أداة ضغطٍ على الجانب الأمريكي من قبل إسرائيل، فزيارات نتنياهو إلى موسكو بمثابة رسائل إسرائيلية للولايات المتحدة بأنّ إسرائيل تعتبر روسيا لاعباً مركزياً في المنطقة. مع ذلك لا أحد يتوقع من نتنياهو أن يفكّ عُرى التحالف الإسرائيلي الأمريكي، لكن نتنياهو يدرك حجم نفوذ بوتين في الأزمة السورية وغيرها من أزمات المنطقة في وقت ينحسر التأثير الأمريكي فيها. وكما قال زفي ماجين، سفير إسرائيل السابق في موسكو الذي يعمل بمعهد دراسات الأمن القومي التابع لجامعة تل أبيب، "نتنياهو لا يبدل ولاءه، وما نراه هنا هو محاولة للمناورة بشكل مستقل لدعم مصالح إسرائيل."

---

[1]– Laurent Rucker, **Israël, l'union soviétique et la Russie**, groupes d'auteurs, L'Etat d'Israël, librairie Arthème Fayard, paris, 2008, p.382 .

[2]– Igor Delanoë, **Russie-Israël: les défis d'une relation ambivalente**, revue de Politique étrangère, Printemps 2013, p126.

الفقرة الثانية: المصالح الإقتصادية بين روسيا وإسرائيل

في 7 يونيو 2016، صرّح فلاديمير بوتين خلال إستضافته رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في مسرح بولشوي في موسكو، أنه "يمكن لروسيا وإسرائيل أن تفخرا بمستوى عالٍ من الشراكة والتعاون المثمر والإتصالات التجارية بعيدة المدى. بالنسبة لنا إسرائيل شريك مهم في الشرق الأوسط، ونعتقد أنّ لدينا الكثير من الإمكانيات للإستفادة منها في السنوات القادمة مع إسرائيل في المجالات السياسية والتقنية والإقتصادية. روسيا لديها الكثير من الأشياء لتقدمها، وإسرائيل لديها الكثير لتقدمه".[1]

إنّ عمليات إشراك رأس المال الإسرائيلي في الأراضي الروسية له ما يبرره، فهي مربحة لإسرائيل لأن التصنيع أقل كلفة في روسيا. في المقابل، تستفيد روسيا من إحياء المنشآت الصناعية غير النشطة حالياً وفتح أماكن عمل جديدة. كل هذا سيكون له تأثير إيجابي على الوضع الإقتصادي والإجتماعي والسياسي في روسيا. فإسرائيل، التي اندمجت بعمق في الأسواق الغربية الناضجة، يمكن أن تخدم كخبير لتطوير السلع الروسية، بينما تتمتع روسيا بعلاقات طويلة الأمد في الشرق الإسلامي، وهي منطقة تتمتع بقوة شرائية عالية للتكنولوجيات الجديدة. ولأسباب سياسية متنوعة، لا يمكن لإسرائيل الوصول إلى هذه الأسواق، في حين قد تشكل روسيا قناة للترويج للمشروعات الإسرائيلية والمشتركة في هذه الأسواق.

من جهة ثانية، إستفادت إسرائيل من تدهور علاقات موسكو مع شركائها المعتادين. حيث استغلت التوترات بين روسيا وتركيا والعقوبات التي يفرضها الإتحاد الأوروبي خصوصاً بعد ضمّ موسكو لشبه جزيرة القرم. منذ بداية هذه الأزمة تحسنت علاقات روسيا مع إسرائيل التي ظلت محايدة في النزاع الأوكراني. وقال زئيف إلكين، وزير حماية البيئة والقضايا المتعلقة بالقدس، في مؤتمر عُقد في موسكو حول العلاقات الروسية الإسرائيلية، "لا يزال هناك الكثير من الإمكانيات لزيادة التجارة، وما زال أمامنا الكثير من العمل،" في إشارة إلى المحادثات الجارية للتوقيع على إتفاقية التجارة الحرة مع روسيا والإنضمام إلى الإتحاد الاقتصادي الأوراسي الذي أنشئ في 1 يناير 2015. وآخر ما أعلنه الجانب الروسي كان على لسان وزير خارجيته سيرغي لافروف في سبتمبر 2018 إنّ المفاوضات بشأن إنشاء منطقة التجارة الحرة بين الإتحاد الاقتصادي الأوراسي وإسرائيل ما تزال جارية. والجدير بالذكر أنّ الإتحاد الإقتصادي الأرواسي وقّع في أيار 2018 إتفاقية مؤقتة للتجارة الحرة مع إيران. ما يعني أنه في حين ما تزال هذه المفاوضات جارية مع إسرائيل، فإنّ الإتحاد وقع الإتفاق مع إيران.

---

[1]- Seth j. Frantazman, **Despite Syria, Israel-Russia...**, op.cit.

تتعدد المجالات الإقتصادية التي تلتقي فيها المصالح الروسية الإسرائيلية حيث تمّ إنشاء المجلس الإقتصادي الروسي الإسرائيلي. الذي يقوم بعقد مؤتمرات بحضور العديد من الخبراء الإقتصاديين للتشاور بشأن الإهتمامات المشتركة فتطورت العلاقة بين الطرفين إلى تعاون وثيق في مجالات عدة، أولى هذه المجالات هي **التبادلات التجارية.** تُعتبر إسرائيل، إلى جانب إيران وتركيا، واحدة من أكبر ثلاثة شركاء تجاريين لروسيا في الشرق الأوسط. لقد نمت التجارة بين إسرائيل وروسيا بشكل كبير في السنوات الأخيرة. على سبيل المثال، بين عامي 1991 و 2011 ارتفعت من 12 مليون دولار إلى 2.8 مليار دولار . في عام 2007 وحده، بلغت قيمة التجارة 1.5 مليار دولار . في عام 2011 قامت حوالي 712 شركة إسرائيلية بتصدير البضائع إلى روسيا، بزيادة قدرها 6٪ عن عام 2010.[1] وروسيا بمثابة سوق للسلع التكنولوجية التي تنتجها إسرائيل، التي يصعب تصريفها في الأسواق العربية لأسباب سياسية. وقد نظّمت العلاقات التجارية بين البلدين الإتفاقية الموقعة بين الحكومتين الروسية والإسرائيلية في أبريل 1994، والتي تقضي بمنح كل من الجانبين الروسي والإسرائيلي نظام الأفضلية القصوى في التجارة وتشكيل اللجنة الروسية الإسرائيلية المشتركة الخاصة بالتعاون التجاري والإقتصادي.

خلال زيارته لإسرائيل في يونيو 2012، رافق فلاديمير بوتين وفد يضم أكثر من 400 شخص، بينهم العديد من رجال الأعمال الذين يمثلون الشركات الروسية الكبرى. ووفقاً لكلام نائب رئيس الوزراء الروسي، أندريه دفوركوفيتش، بلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين عام 2014 ثلاث مليارات دولار ، وتأمل موسكو رفعه إلى 3.5 مليارات دولار –علماً أنّ التبادل التجاري مع أيٍّ من البلدان العربية لم يبلغ هذا المستوى– لكنه ما زال متواضعاً أمام التبادلات التجارية مع الولايات المتحدة.[2] تستورد إسرائيل من روسيا بشكل أساسي الماس الخام والهيدروكربونات (46.5٪)، بينما تشمل الواردات الروسية: المنتجات الزراعية (16٪) والمنتجات الإلكترونية المصنعة (10٪) والمعدات الطبية (8.5٪).[3]

كما أعرب الجانب الإسرائيليّ عن إهتمامه بتطوير التعاون بين البلدين في **مجال السّياحة.** فعدد السيّاح الروس إلى "إسرائيل" هو ثاني أكبر عدد بعد الوافدين من الولايات المتّحدة. إذ يصل إلى "إسرائيل" نصف مليون سائح روسيّ في السنة، ويبلغ دخل إسرائيل من هذه السّياحة مليار دولار سنوياً. في العام 2014،

---

[1]– Igor Delanoe, **Le grand jeu des alliances Entre Moscou et Tel-Aviv**…. op.cit. p9.

[2]– نيقولاي سوركوف، **إسرائيل أهم في موسكو**…، مرجع سابق.

[3]– Igor Delanoë, **Le grand jeu des alliances Entre Moscou et Tel-Aviv**…. op.cit. p9.

قصد حوالى 1.829 مليون سائح روسي "إسرائيل" للإستجمام.[1] ما يقارب 21 رحلة أسبوعية تعمل بين موسكو وتل أبيب، خصوصاً بعد أنّ وقع الطرفان عام 2008، إتفاقاً لإلغاء نظام التأشيرة (الفيزا) بينهما.

منذ إستعادة العلاقات بين روسيا وإسرائيل في عقد التسعينيات، وقّع الطرفان العديد من الإتفاقيات الإقتصادية على مختلف الأصعدة. في عام 1994 وقّع الجانبان ست إتفاقيات للتعاون في مجالات: العلم والتكنولوجيا؛ والسياحة؛ والثقافة والتعليم؛ والصحة وعلم الطب؛ والزراعة والصناعة الزراعية؛ والطّيران. كما وقّعا عام 1996 إتفاقية تعاون في مجالَيْ البريد والإتصالات. وفي عام 1997 وقّعا إتفاقيّة في مجال الحرب ضد الجريمة. وفي عام 2000 وقّع الطرفان إتفاقيّتين واحدة في مجال منع الإزدواج الضريبي وأخرى في مجال إقامة مراكز ثقافيّة داخلهما.[2]

أصبحت العلاقات الإقتصادية العنصر الأهم في العلاقة بين روسيا وإسرائيل. وحقّقت أكبر تحسن في السنوات الأولى بعد إستعادة العلاقات الدبلوماسية بينهما. يمكن الحديث عن نجاح في المجالات التالية:

صناعة الأدوية: أقامت شركة الأدوية الإسرائيلية Teva Pharmaceutical Industries معمل للتحاليل الطبية في مدينة ياروسلافل الروسية عام 2014.

السكك الحديدية: تعاونت شركة «بناء المترو الموسكوفية» الروسية، وشركة Minrav Holdings الإسرائيلية على بناء خط سكة حديدية يربط تل أبيب بالقدس وقد أنهي المشروع عام 2013.

المجال الزراعي: في 2014، إستثمرت الشركة الإسرائيلية LR Group في إقامة مجمّعات حيوانية لإنتاج الحليب في جمهورية الشيشان، وفي إقليم الأوبلاست اليهودية، وفي منطقة تامبوف. وفي 2014، أطلقت شركة AquaMaof الإسرائيلية مشروعًا لتربية سمك السلمون في منطقة كالوجسكايا. وبدعم من حكومتي الطرفين أُنشئ مركز التكنولوجيا الزراعية عام 2013 في جامعة تيميريازيف للزارعة.[3]

التكنولوجيا المتقدّمة: تنشط شركات روسية عدة في سوق المعلومات التكنولوجية الإسرائيلية، مثل شركة «ياندكس» التي استثمرت ملايين الدولارات في السوق الإسرائيلية. إضافةً إلى التعاون في مجال

---

[1]– **زيارة الرئيس الروسي بوتين إلى إسرائيل**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 13 يوليو 2012.

[2]– مي ياسر حمام، **العلاقات الروسية الإسرائيلية في عهد بوتين في الفترة من "2000 – 2016"**، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والإقتصادية، مصر، 2 أغسطس 2017.

[3]– سمير رمان، **العلاقات الروسية– الإسرائيلية**، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، الدوحة، 1 أبريل 2017، ص6.

تكنولوجيا النانو بين الطرفين. فقد أقامت الشركة الروسيّة "روسنانو" في العقد الماضي شركة فرعيّة لها في إسرائيل، حملت اسم "روسنانو إسرائيل". التي تقوم بالإتصال مع شركات إسرائيليّة مختصّة في مجال تكنولوجيا النانو بغرض التعاون معها أو شرائها. ويلفت تسفي مغين –الباحث في مركز أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي– إلى أنّ بوتين أدرك أنّ تحسين قدرات روسيا التنافسية على الصعيد الاقتصادي، يتطلب التعاون مع أطراف خارجية في مجال التقنيات المتقدمة (دورية مباط عال، 2013/10/1).[1] وفي مقابلة لرئيس الحكومة الروسية دميتري مدفيديف مع القناة الإسرائيلية الثانية في 6 /2016/11، قال إنّ المؤشرات الإقتصادية لروسيا تقع حالياً عند مستوى مقبول، لكنّ البلاد بحاجة إلى تغيير هيكل الاقتصاد. فروسيا تعتمد بشكل كبير على صادرات النفط والغاز، وللحدّ من ذلك يجب تحفيز النمو في قطاع التكنولوجيا الحديثة. ويمكن للتعاون مع الشركات الإسرائيلية أن يعطي زخماً لهذا القطاع الحيوي، مشدداً على وجود ضرورة لإحداث "ثورة تكنولوجية" في الإقتصاد الروسي.[2]

من المجالات الرئيسية للتعاون الروسي الإسرائيلي يمكن ذكر **التعاون في المجال الفضائي**، فقد وقعت الوكالتان الفضائيتان الروسية والإسرائيلية في أغسطس 1994 مذكرة تفاهم لتنظيم التعاون بينهما في مجال الفضاء. في شهر ديسمبر 2000 قام الصاروخ الروسي بإطلاق القمر الصناعي الإسرائيلي "آروس– 1A". وفي عامي 2003 و2006 تم إطلاق القمرين الصناعيين الاسرائيليين "عاموس –2 " و"آروس – 1B" بواسطة الصاروخين الروسيين. في عام 2011، أطلقت وكالة الفضاء الروسية Ros cosmos القمر الصناعي الإسرائيلي الجديد عاموس5 من بايكونور.[3] كما وقعت موسكو وتل أبيب إتفاقية إطارية للتعاون في مجال الفضاء من خلال تسيفي كابلن مدير وكالة الفضاء الإسرائيلية، ونظيره الروسي أنتولي فرمينوب في مارس 2011. وتركّز الإتفاقية على بحوث إستكشاف الفضاء وخدمات الإطلاق وغيرها، علماً أنّ إسرائيل هي واحدة من دول نادي الفضاء الدولي الذي يضمّ ثمانية بلدان.[4]

1– صالح النعامي، **إسرائيل وتعاظم الدور الروسي.. رهانات ومحاذير**، الجزيرة.نت، 14 نوفمبر 2013.

2– **مدفيديف: روسيا بحاجة لـ "ثورة تكنولوجية" في الاقتصاد**، RT Arabic، 6 نوفمبر 2016.

3– Salomé Stoikovitch, **Relations Israël**..., op.cit.

4– عدنان أبو عامر، **العلاقات الروسية الاسرائيلية**...، مرجع سابق، ص211.

على صعيد الطاقة، عقدت إسرائيل وروسيا منذ مطلع القرن الحالي، شراكة في مجال الطاقة. حيث وقّع الطرفان عام 2004 إتفاقية لإستعمال خط أنابيب النفط عسقلان- إيلات، التي تقضي بأنّ ناقلات النفط القادمة من نوفوروسيسك في البحر الأسود تُفرّغ النفط المحمّل في عسقلان ليُنقل عبر الأنابيب الى إيلات ثم يعاد تحميله على ناقلات في إيلات للشحن إلى آسيا لإمداد الأسواق الآسيوية بالنفط الروسي. هذا المسار أقصر من المسار التقليدي حول أفريقيا، وأرخص من المرور عبر قناة السويس.[1]

ثم دخلت شركة غازبروم الروسية في إتفاقية توريد مع إسرائيل لزيادة الواردات بنسبة 25٪ بحلول عام 2025. فبعد إجتماع يونيو 2004 بين أليكسي ميلر، رئيس غازبروم، ورئيس الوزراء شارون، وعدت إسرائيل بزيادة حصة الغاز الروسي في ميزان الطاقة لديها من 1% إلى 25% بحلول 2025. في مارس 2006، بعد زيارة ألكسي ميلر إلى إسرائيل، صرّح رئيس الوزراء الموقت إيهود أولمرت بأن غازبروم وافقت على تزويد إسرائيل بالغاز.[2] حتى مع العقوبات الأمريكية والأوروبية المفروضة على روسيا في أعقاب الأزمة الأوكرانية حافظت إسرائيل على وارداتها من روسيا.

مع إكتشاف حقول الغاز في إسرائيل مثل تمار وليفياثان وغيرهما جرى التساؤل عن مستقبل صادرات النفط الروسية إلى إسرائيل، ولكنّ هذه الإكتشافات دفعت الروس أيضاً إلى السعي للاستثمار في سوق الطاقة الإسرائيلية. فقد إقترحت شركة غازبروم خلال زيارة بوتين عام 2012 التعاون مع إسرائيل بشأن حقول الغاز التي اكتُشفت في السنوات الماضية. وقد أوضح الوفد الروسيّ الزائر أنّ شركة غازبروم تعتزم إنشاء شركةٍ فرعيّة لها في إسرائيل، سيطلق عليها اسم "غازبروم إسرائيل"، والتي ستعمل في مجالات التنقيب عن الغاز ونقله إلى الأسواق. وقد رحّبت إسرائيل بهذه المقترحات، وأوضحت أنّ المناقصات الدوليّة المتعلّقة بحقول الغاز الإسرائيليّة ستكون مفتوحة لمشاركة غازبروم.[3]

في النتيجة يمكن القول أنه في حين أصبحت السياسة الروسية قائمة على المصالح، وتحدد طبيعة علاقاتها بالدول الأخرى المنافع الإقتصادية بالدرجة الأولى، فإنّ إسرائيل تمتلك "محفزين" مهمّين قد يؤثّران في الموقف السياسي الروسيّ بدرجة ما. أوّلهما مرتبط بقدرة إسرائيل على تزويد روسيا بالتكنولوجيا الأكثر تطوراً، وفي مقدمتها التكنولوجيا المتعلقة بصناعة الطائرات من دون طيار، والتي تحتاجها روسيا.

---

[1]- Laurent Rucker, **Israël, l'union soviétique** .... op.cit., p.383 .

[2]-Ilya Bourtman, **Putin and Russia's**, op.cit. p2.

[3]- **زيارة الرئيس الروسي بوتين إلى إسرائيل**...، مرجع سابق.

والثاني مرتبط بإستعداد إسرائيل للتعاون مع روسيا بشأن حقول الغاز المكتشفة في البحر الأبيض المتوسّط، عبر منح مشاريع للشركة الروسيّة "غازبروم" لتطوير حقول الغاز ونقل إنتاجها وبيعه إلى دول أخرى، وبالتالي التقليل من إحتمال تنافسية "الغاز الإسرائيلي" أمام الغاز الروسي في أوروبا.

يمكن وصف العلاقات الروسية الإسرائيلية بالعلاقات الوظيفيّة مع الإستعداد لدفع ثمن سياسيّ لذلك. ولا بدّ من الإلتفات إلى أنّ هذه العلاقات مقيدة بالعلاقات الإسرائيلية الأمريكية، حيث يصف الكاتب الأمريكي نعوم تشومسكي الإقتصاد الإسرائيلي بأنه "صورة كاريكاتورية من إقتصاد الولايات المتحدة. فهو يقوم على التكنولوجيا المتقدمة والإقتصاد المعسكر، وميزته هي الإنتاج العسكري المتقدم والمرتبط على نحو وثيق بالولايات المتحدة."[1] هذا الإقتصاد بحاجة إلى أسواق، فكانت روسيا والصين إحدى هذه الأسواق التي تحاول إسرائيل تطويرها، وهو ما لا يروق للحكومة الأمريكية لذلك كان هناك صراع يتطور على مدى مراحل بين إسرائيل والولايات المتحدة، على مبيعات الأجهزة العسكرية المتطورة إلى الصين وروسيا. وبالنتيجة فإنّ العلاقات الروسية الإسرائيلية ليست علاقات حرة تماماً، كون الممول والداعم السياسي والإقتصادي الأساسي لإسرائيل هو الولايات المتحدة ومهما حاولت إسرائيل أن تجنح بعيداً عن السياسة الأمريكية إلاّ أنها لا يمكن أن تعارضها أو تواجهها. ومتى إعترض التقارب الروسي الإسرائيلي المصالح الأمريكية فإنّ إسرائيل لن تختار روسيا، فالأخيرة وإن كانت تعيش مرحلة صعود في النفوذ الدوليّ لكنها لم تصل إلى مستوى التفوق على الولايات المتحدة وحتى هي نفسها اختارت عدم المواجهة مع الأمريكيين وإنما المشاركة في إدارة النظام الدولي وتقاسم النفوذ.

[1]– نعوم تشومسكي وجلبير الأشقر، **السلطان الخطير السياسة الخارجية الأمريكية**...، مرجع سابق، ص104.

المصالح الثقافية والقومية

لم تقتصر العلاقات الروسية الإسرائيلية على المصالح السياسية والإقتصادية فحسب بل تعدتها إلى الروابط الثقافية والقومية التي تمثلت بالوجود اليهودي في روسيا مقابل المهاجرين الروس إلى "إسرائيل" والذين تصفهم روسيا بأنهم جالية روسية في إسرائيل. وقد لعب اليهود في البلدين دوراً كبيراً في تقوية العلاقات بين الطرفين نظراً إلى المواقع المهمة التي احتلوها في مختلف الميادين إقتصاديًا وسياسيًا وإعلاميًا... من جهة ثانية لم يكن الوجود اليهودي في روسيا أو الوجود الروسي في إسرائيل وليد لحظة أو بضع سنوات بل إنه نتيجة صيرورة متكاملة تطورت عبر عقود من الزمن وأحاطت بها عدة ظروف.

الفقرة الأولى: الوجود اليهودي في روسيا

أهم ما يبرز عند البحث في الوجود اليهودي في روسيا هو جدلية التطور الإقتصادي والسياسي لليهود في روسيا مقابل الكراهية الشعبية الروسية لليهود، التي دفعت مراراً إلى منع اليهود من دخول روسيا أو تحديد مناطق إقامتهم، وسهّلت فيما بعد هجرتهم إلى إسرائيل. مع ذلك شغل اليهود مواقع مهمة في روسيا لا سيما في مجاليْ الإقتصاد والإعلام. لقد ظهرت المسألة اليهودية في روسيا بشكل جليّ في القرن الحادي عشر مع أول ظهور إقتصادي لليهود فيها، فقد قاموا بدور الوسيط التجاري بين روسيا وأوروبا. حينذاك ظهرت أولى التجمعات اليهودية في كييف، وفي نفس القرن حدثت أولى الهجمات الشعبية الروسية على اليهود عام 1069. في بداية القرن الثاني عشر إتخذ أمراء روسيا بالإجماع قرارًا بمنع عيش اليهود في الأراضي التابعة لإمارة كييف الروسية.[1]

في العام 1563 اتخذ الأمير إيفان الرهيب قرارًا بإغراق يهود مدينة بولوتسك. ومذاك جرى منع اليهود منعاً باتاً من دخول كامل أراضي الإمبراطورية الروسية، إستمر هذا المنع حوالي مئتي عام. وبهذا سار بطرس الأول عندما قال مرة أنه يفضّل ممثلي كل الأقوام والأديان بما في ذلك الوثنيين للعمل في روسيا بإستثناء اليهود، لأنهم مخادعون ماكرون ومصدر الشر، ولا يريد تكثير الشر في روسيا. ثمّ سار أمراء روسيا على هذا القرار حتى صعود الإمبراطورة كاترينا الثانية، التي سمحت لليهود بدخول روسيا والعمل فيها. وأصدرت عام 1791 قرارها بمساواة التجار اليهود في الحقوق مع غيرهم من تجار روسيا.[2]

1- ميثم الجنابي، **اليهودية واليهودية الصهيونية في روسيا**، دار الحصاد، دمشق، 2006، ص29.

2- المرجع نفسه، ص30.

في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر أخذ الوجود اليهودي يتوسع ويزداد في روسيا. لا سيما مع صعود ألكسندر الأول إلى سدة الحكم في روسيا، فقد سمح للحركات الماسونية بالعمل رسميًا عام 1804، وقام بإجراء بعض الإصلاحات لتحسين أحوال اليهود في روسيا. هذه الإجراءات التي بدأت مع كاترينا الثانية جعلت الأقلية اليهودية أكثر تمكنًا ماديًا وعلميًا بسبب مزاولتهم التجارة، على عكس الأغلبية الروسية التي كانت من أصول فلاحية لا تمتلك القدرة على إرسال أبنائها للدراسة. فقد شكّل اليهود 12% من نسبة الطلبة رغم أنّ نسبتهم من السكان لا تتجاوز 4%.[1]

كانت روسيا القيصرية تضمّ عددًا قليلًا جدًا من اليهود، بسبب قرارات المنع والطرد لليهود، وكون الشعب الروسي بأغلبه ينتمي للكنيسة الأرثوذكسية. ومع إحتلال روسيا عام 1815 للأجزاء الشرقية من بولندا (التي تجمّع فيها اليهود تدريجياً عبر زحفهم التاريخي لأسباب إقتصادية ودينية وثقافية، والتي إحتضنتهم بعد المطاردات والمذابح التي تعرضوا لها)، أصبح اليهود يشكلون عددًا لا يُستهان به في الإمبراطورية الروسية. كانت روسيا في القرنين التاسع عشر والعشرين تضمّ أكبر تجمع يهودي في أوروبا، حيث كانت نسبتهم آنذاك 5% من السكان، بينما كان اليهود في ألمانيا يشكلون 1.15%، وفي فرنسا 0.28% وفي إيطاليا وبريطانيا 0.13%... وبالتالي أصبحت روسيا الميدان الأكبر لتأثيرهم السياسي، وأصبح اليهود قوة سائدة ومالكة، بعد أن كانوا جماعةً لا قيمة لها ولا أثر لهم في التاريخ الروسي.[2]

تَميّز اليهود في روسيا كما في مختلف دول الشتات بتقاليد الغيتو التي تجعلهم في شبه إنعزال إجتماعي عن باقي فئات المجتمع وتجعلهم عنصريين متطرفين يرفضون تقبل الآخر، هذه التقاليد زادت كراهية الروس لهم. فرغم محاولات الأباطرة لدمج اليهود ثقافياً بالدولة الروسية عبر الدراسة الجامعية وحق التملك والخضوع لنفس القوانين التي يخضع لها الروس، إلاّ أنهم ظلّوا "دولة داخل الدولة" و"شعب داخل شعب"، محاولين الإستفادة القصوى من الإمكانات التي توافرت لهم في روسيا حينذاك.

رغم هذا الإنعزال الإجتماعي إلاّ أنهم وصلوا وسيطروا على مراكز حساسة في الدولة الروسية بدءاً من القرن التاسع عشر. **على الصعيد الإقتصادي** رسّخ اليهود بدايةً سيطرتهم في ميادين بيع المشروبات الكحولية والسجائر، ولأنّ هذه البضائع كانت سائدة بشكل كبير بين الروس فقد جنى اليهود من هذه التجارة أرباحاً خياليةً، أدّت تدريجياً إلى تكوين شريحة بمئات اليهود من أصحاب الملايين. ثم ازداد

---

[1]– ميثم الجنابي، **اليهودية واليهودية الصهيونية**...، مرجع سابق، ص31.

[2]– المرجع نفسه، ص35.

دورهم المؤثر في صناعة النبيذ والبنوك، وسيطر اليهود على ستِ بنوك من أصل سبعة هي الأكثر أهمية في روسيا. كما سيطروا على أغلب معامل الصناعة الغذائية كالسكر والطحين، ومصانع النسيج، وتجارة الحبوب. والمكان الوحيد الممنوع عليهم تملكه أنذاك كان الأرض.[1]

على الصعيد الإعلامي، كانت أغلب دور النشر والصحف حتى الحرب العالمية الأولى بيد اليهود أو تحت تأثيرهم. أدرك اليهود باكراً بأنّ الأسلوب الأمثل للدفاع عن النفس وتحييد الخصم وشلّ حركته تكمن في الصحافة، بوصفها أداة التأثير على الرأي العام والسلطة. وامتلاكها يُعدّ أفضل وسيلة لفرض شروطهم في مختلف الميادين. صرفت المنظمات اليهودية أموالاً طائلةً لتأسيس الجرائد الخاصة بها، وشراء ذمم الكتّاب والصحفيين. وأصبحت دراسة "الظاهرة اليهودية" في روسيا موضوعًا خطرًا يُعرّض صاحبه للإبتزاز السياسي والإعلامي والمعنوي، وأصبحت من الموضوعات شبه المحرّمة على غير اليهود.[2]

ثمّ ارتبطت هذه السيطرة بالدعوات اليهودية في القرن التاسع عشر إلى الإندماج والأخذ بأسلوب الحياة الروسية- الأوروبية والخروج من الغيتو والإنعزال. فقَبل دخولهم الدولة الروسية لم تكن مدارسهم سوى مدارس دينية لم تتعدّ معلوماتها التلقين الديني لتعليم اليهودية. وكانت لغتهم تسمى الأيدش وهي لغة مشوهةٌ وخليطٌ من لغات متعددة كالألمانية والبولندية... فعمدوا إلى التكلم باللغة الروسية من أجل التعلم في المدارس الروسية وممارسة تجارتهم.

في الميدان السياسي كان لليهود تأثيرهم من خلال دورهم في الأحزاب الإشتراكية التي برزت في القرن التاسع عشر، وكانوا من المشاركين والمؤسسين للثورة البلشفية (1917). فكانت الغلبة المطلقة للعنصر اليهودي في قيادات الأحزاب اليسارية الإشتراكية والثورية في روسيا. فمن أصل 55 عضواً سياسياً قيادياً في الحركات اليسارية والثورية كان هناك 47 يهودياً، وبقية القوميات الروسية البالغ عددهم أكثر من 100 قومية يمثلهم ثمانية أعضاء فقط. وإذا أخذنا بعين الإعتبار أن نسبتهم السكانية لا تتجاوز 4% فإنّ تمثيلهم السياسي في المعارضة ضد القيصرية قد تجاوز عشرات المرات نسبتهم السكانية. كان اليهود من المشاركين والمنظمين لمؤتمرات الحزب الإشتراكي الديمقراطي الروسي، وكان أولها عام 1898.[3] وقد

---

[1]– ميثم الجنابي، **اليهودية واليهودية الصهيونية...**، مرجع سابق، ص37.

[2]– المرجع نفسه، ص39.

[3]–حسين البسومي، **اللوبي اليهودي في روسيا: هل يعرقل التقارب مع الدول العربية؟**، موقع آراء حول الخليج، 1 نوفمبر 2007.

وصف المؤرخون التاريخ السوفياتي بأنه كان تاريخ السيطرة اليهودية بغلافها البروليتاري وأيديولوجيتها الإشتراكية.

إستمرت الهيمنة اليهودية على مفاصل إتخاذ القرار السوفياتي حتى إندلاع الحرب العالمية الثانية. فقد مثّلت الحرب فرصة مؤاتية للروس لإستعادة زمام المبادرة من أيدي اليهود الذين اضطروا للتراجع أمام الضغط الألماني على الدولة السوفياتية وخوفهم من قيام هتلر بالقضاء عليهم كما فعل مع يهود ألمانيا. لذلك عمدوا للإنسحاب التدريجي من المواقع الأمامية للسلطة في مختلف الميادين، وترك المواجهة المباشرة بين الألمان والروس. فقد أدرك اليهود جيداً أنّ إنتصار الجيش السوفياتي هو ضمان إنتصارهم ووجودهم المباشر، وهو أمر لن يتحقق إلا باستثارة الروح القومية الروسية، ما ترتب عليه فيما بعد إضعاف شوكة اليهود في روسيا.

بعد سقوط الإتحاد السوفياتي تكرر الأمر مع السلطة الجديدة في روسيا، فجاءت الثورة الديمقراطية عام 1991 بسلطة ذات تأثير يهودي متعاظم، جعلت من اليهود مرة أخرى مالكي روسيا. فقد استحوذ اليهود على أهم قطاعات الإقتصاد مثل الطاقة والمعادن الثمينة (الماس والبلاتين والألمنيوم) والمصانع المتطورة والبنوك والموانئ والمحلات التجارية في مراكز المدن والفنادق الكبرى وغيرها. وظهر ذلك بوضوح خلال حكم الرئيس بوريس يلتسين، فعمل اليهود على دفع روسيا إلى تعزيز علاقاتها مع إسرائيل في المجالات الإقتصادية والسياسية والإجتماعية والوصول بها إلى أقصى مدى ممكن. ولتحقيق هذا الهدف عمد اليهود للوقوف بكل قوتهم إلى جانب يلتسين في الإنتخابات التي جرت في العام 1996، إذ خاضت وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة التي يسيطرون عليها حرباً لا هوادة فيها ضد خصمه زعيم الحزب الشيوعي غينادي زوغانوف. من ناحية ثانية، سعت الرأسمالية اليهودية إلى إيصال ممثليها إلى مراكز القرار السياسي في الكرملين، وتمثل ذلك بإقدام بوريس يلتسين على تعيين الملياردير اليهودي بوريس بيريزوفسكي نائباً لسكرتير مجلس الأمن القومي الروسي على الرغم من حيازته جواز سفر إسرائيلياً.[1]

من الناحية الإجتماعية، لم يكتفِ اليهود بمواقع السيطرة بل عبثوا بكل مقدسات التاريخ الروسية، على سبيل المثال: غيروا اسم شارع القديس فلاديمير في مدينة لينينغراد إلى شارع ناحيمسون.[2] كما ظهرت

---

[1]– المرجع السابق.

[2]– ميثم الجنابي، **اليهودية واليهودية الصهيونية**...، مرجع سابق، ص143.

أوائل التسعينيات، أول مدارس يهودية وأول رياض أطفال يهودية على الأراضي الروسية وقد جاء ممثلو مختلف المنظمات اليهودية، الدينية أو العلمانية، إلى روسيا، وظهرت منظمات يهودية من روسيا.[1]

لكنّ تزايد الأوضاع الإقتصادية سوءًا بعد الإنهيار المالي الكبير الذي ضرب روسيا في أغسطس 1998، والذي تسببت به الرموز الرأسمالية اليهودية، دفع الكرملين إلى إقناع يلتسين بتقديم إستقالته، وتعيين رجل الإستخبارات فلاديمير بوتين قائمًا بأعمال الرئيس ريثما يتمّ التحضير للإنتخابات الرئاسية.

مع وصول الرئيس فلاديمير بوتين إلى السلطة نفّذ العديد من الإصلاحات الإدارية والسياسية التي سعت إلى تحجيم النفوذ اليهودي وتطهير الكرملين من الرموز الصهيونية التي لعبت دورًا مؤثرًا في الوقوف وراء الكثير من السياسات التي انتهجها يلتسين في خدمة السياسة الإسرائيلية، وأدت إلى إضعاف مكانة روسيا كدولة عظمى وجعلها مجرد دولة تابعة وتراجع دورها التاريخي في منطقة الشرق الأوسط.

وفقاً لدراسة إستقصائية أجرتها وكالة Expertisa في موسكو في 16 مارس 2005، فإنّ ثلثي السكان الروس يحملون آراء قومية معادية للأجانب. و40% من الأشخاص الذين تم استجوابهم، منزعجين من القوة التي تملكها الأوليغارشية اليهودية، ويعتقدون أنه يجب الحدّ من التأثير اليهودي على الحياة العامة. ومن العلامات على ذلك زيادة المواقع الروسية المعادية للسامية على الإنترنت. كما حدثت في موسكو عدة هجمات على مدى السنوات القليلة الماضية على المعابد والدبلوماسيين الإسرائيليين. لكنّ فلاديمير بوتين في كل مرة كان يُدين الهجمات المعادية للسامية ويأخذ خطوات لحل القضية. وكدليل على النوايا الطيبة تجاه المجتمع اليهودي، قام مثلاً عام 2007 بتعيين ميخائيل فرادكوف، رئيس الوزراء السابق (2004-2007)، الذي لا يخفي أصله اليهودي، قائداً لجهاز المخابرات الأجنبية في الإتحاد الروسي.[2] فالسلطات الإسرائيلية كانت تضغط على الكرملين وتهدد بتنبيه الرأي العام الدولي. كما أنّ بوتين لم يكّف في لقاءاته مع الزعماء اليهود والإسرائيليين عن التأكيد على أنّ روسيا ستبقى ملاذاً آمناً لليهود خلافاً لبقية المجتمعات الأوروبية التي تشهد صعود النزعة اللاسامية.

إستطاع بوتين القضاء على جزء كبير من النفوذ اليهودي في روسيا، وفي الوقت نفسه عمِل على إعادة بعث الروح القومية الروسية من أجل مواجهة أية محاولة لعودة الهيمنة اليهودية على القرار الروسي. إلاّ

[1]– Marianna Belenkaia, **Renaissance de la communauté juive en Russie**, sputnik news, 2 Novembre 2003.

[2]– Pierre Razoux, **The keys to understanding...**, op.cit, p.6.

أنّ اليهود الذين يستقر عددهم في روسيا على حدود المليون شخص، بينهم 300 ألف في موسكو، و 100 ألف في سان بطرسبرغ، إستحوذوا على جانبٍ مهمٍ من رؤوس الأموال الروسية، والتي أصبحت من الأدوات المهمة التي تشكل عاملاً ضاغطاً على روسيا في مواقفها من قضايا الشرق الأوسط. مثل مجموعة Most Bank التي يمتلكها فلاديمير جوسينسكي رئيس مؤتمر المنظمات اليهودية في روسيا، وصاحب أكبر مؤسسة إعلامية غير حكومية وعلى رأسها القناة التلفزيونية الأكثر شهرة NTV Russia. كما بلغت أملاك اليهود الروس في الإقتصاد الروسي في ديسمبر 2002 كالآتي: 70% في قطاع الطاقة، 100% في قطاع السماد الزراعي، 80% في قطاع صناعة السيارات، 60% في قطاع صناعة الطيران المدني، 85% في قطاع الأخشاب، 70% في قطاع المصارف، 80% في قطاع شركات التأمين، 65% في قطاع الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب.[1]

على الصعيد الإجتماعي، قدم بوتين للجالية اليهودية في بلاده خدمات لم تحلم بها سابقاً. في العام 2000 حضر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إفتتاح مركز الجالية اليهودية في موسكو. وفي العام 2003 كان في موسكو وحدها، 10 مدارس يهودية و5 معابد يهودية والعديد من مؤسسات التعليم العالي و10 منظمات ثقافية و5 جمعيات خيرية يهودية.[2]

أمام مؤتمر حاخامات أوروبا في تموز 2014، قال بوتين: "أعزائي الحاخامات إني ألتزم أمامكم بمحاربة حازمة لأي تعبير لا سامي على أرض روسيا وألتزم بدعم أمن الجاليات اليهودية ومنحها كامل حرية التصرف." إنّ بوتين يسمح لليهود الروس بممارسة شعائرهم الدينية دون خوف. ويسمح بالهجرة اليهودية إلى إسرائيل. كما وسم بوتين الحاخام الكبير بيرل لازاري في أغسطس 2014 بوسام الرئيس وهو أرفع وسام روسي. كما أنّ بوتين على معرفة عميقة بالديانة اليهودية، حيث أنه مثلاً حين إلتقى نتنياهو في باريس في مؤتمر المناخ 2014، هنأه بعيد "هانوكاه" اليهودي. وفي يناير 2016 تمّ إفتتاح مجمع يهودي جديد في موسكو يضمّ كنيساً يتسع ل205 شخصٍ وقاعات للأعياد والدراسة وأماكن سكنية للشباب... بالإضافة إلى أنه يتمّ إلزام الطلاب في المدارس الرسمية بزيارة المركز اليهودي لتعلم تاريخ اليهود.[3]

---

[1]– وسام أبي عيسى، **الموقف الروسي تجاه حركة...**، مرجع سابق، ص15.

[2]– Marianna Belenkaia, **renaissance de la communauté**..., op.cit.

[3]– سامي كليب، **يهودية بوتين هل تنفع العرب وسوريا؟**، جريدة السفير، 8 أغسطس 2016.

في 19 يناير 2016 زار موسكو رئيس المؤتمر اليهودي الأوروبي فياتشيسلاف موشيه كانتور، حيث إلتقى بوتين واشتكى له ما يتعرض له اليهود في أوروبا فكان جواب بوتين "ليأتوا عندنا، ففي العصر السوفياتي هاجروا وماعليهم الآن سوى العودة". وفي اليوم التالي، دعا ألكسندر ليفينتال، حاكم منطقة اليهود المستقلة في بيروبيدجان، اليهود من أوروبا للإستقرار في منطقته، التي أسسها ستالين عام 1934 وتقع في أقصى شرق روسيا.[1]

هذه بعض المواقف والخطوات التي اتخذها بوتين اتجاه اليهود، التي تدلّ على براغماتية هذا الرئيس. فهو من جهة سعى إلى تحجيم دورهم إداريًا وسياسيًا بغية إستعادة إستقلالية القرار السياسي الروسي، الإقليمي والدولي. لكنه لم يستثر عداءهم أو يحاول عزلهم لأنه يعلم مدى تأثيرهم الإقتصادي والإعلامي من جهة، وحجم قدراتهم وخبرتهم العلمية والتكنولوجية التي تحتاجها الدولة الروسية في معرض تحولها نحو إقتصاد السوق والخروج من أزماتها الإقتصادية من جهة أخرى.

الفقرة الثانية: الحضور الروسي في إسرائيل

مقابل اليهود في روسيا يحضر اليهود الروس في إسرائيل الذين تجمّعوا عبر هجرات متفاوتة بدءًا من عهد الإمبراطورية القيصرية مروراً بعهد الإتحاد السوفياتي وصولاً إلى روسيا الجديدة. بدأت الهجرات الروسية إلى فلسطين مطلع القرن الثامن عشر ولم تنتهِ إلى الآن، لكنها تُوجت بالهجرة الجماعية الأكبر عدداً في مطلع تسعينيات القرن الماضي لتُعادل الميزان الديمغرافي بين العرب واليهود في فلسطين المحتلة، حيث تجاوز عدد المهاجرين مليون مواطن روسي. حدثت هذه الهجرة لأسباب إقتصادية وإجتماعية وليس على أسس أيديولوجية. فالويكيبيديا العبرية تقول أنّ أغلب اليهود الروس هاجروا إلى إسرائيل بعدما ضاقت بهم سبل العيش في الإتحاد السوفياتي السابق، ونجحت الخطط الإعلامية في جذبهم إلى إسرائيل، وتلقوا أموالاً من أجل السكن فيها، فقد كان طلب العمل السبب الرئيسي للهجرة.[2]

"الكابوس السكاني"، "إسرائيل تخسر السباق السكاني"، "المشكلة الديمغرافية العربية"، "إسرائيل تواجه مشكلة وجودية"، "الفلسطينيون هم الأغلبية عما قريب"... هذه بعض العناوين المستقاة من الصحافة

---

[1]-Ekaterina Dvinina, **Poutine aux Juifs d`Europe: "Venez chez nous"**, courrier international, 22 Decembre

[2]- خالد سعيد، **المهاجرون الروس قادمون...**، مرجع سابق، ص137.

الإسرائيلية التي تُظهر سيطرة الهاجس الديمغرافي على تفكير القادة وصناع القرار الإسرائيليين. فالمشكلة الديمغرافية تُعتبر ركيزة أساسية من ركائز النظرية الأمنية الإسرائيلية. كما أنّ هذه المشكلة لم تشغل فقط السياسيين وصناع القرار بل كانت أيضاً محطّ إهتمام وسائل الإعلام ومراكز الأبحاث والدراسات الإسرائيلية.[1] فالتكاثر عند الفلسطينيين يفوق كثيراً التكاثر الطبيعي لدى اليهود. وما زالت حتى اليوم تُشير الإحصاءات الإسرائيلية الرسمية إلى أنّ هناك هبوطاً متواصلاً في عدد اليهود من سكان إسرائيل. فمثلاً في العام 2005 كان اليهود يشكلون حوالي 76.01% من السكان. ثم في العام 2006 إنخفضت هذه النسبة إلى75.97% من السكان. في المقابل إرتفع عدد العرب إرتفاعاً ملحوظاً. وتوقع مكتب الإحصاء المركزي في إسرائيل أن يشكل فلسطنيو 48 حوالي 30% من مجموع السكان بحلول العام 2025.[2]

بناءً على هذه المخاوف أولت الحركة الصهيونية جهداً كبيراً لتعزيز هجرة السوفيات إلى إسرائيل حتى لو أدّى ذلك إلى جلب سوفيات غير يهود. فقد كان من بين المهاجرين السوفيات مسلمين ومسيحيين، بعدما وجدوا أنفسهم عالقين بين تردي الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في دويلات الإتحاد السوفياتي السابق. في المقابل وصل إلى الكيان الصهيوني نخبة من العلماء والكوادر الفنية والتكنولوجية السوفيات، الذين ساعدوا إسرائيل في الوصول إلى مصافي الدول المتقدمة في المجالات العلمية والتقنية.

سعت إسرائيل لفتح باب الهجرة اليهودية من الإتحاد السوفياتي، الذي كان يقف، لأسباب أيديولوجية وسياسية، ضد هجرة مواطنيه اليهود وغير اليهود إلى إسرائيل. مستندةً بذلك إلى أنّ الإتحاد السوفياتي كان قد سمح، في الأعوام 1969–1975، بضغطٍ من الولايات المتحدة عليه، بهجرة نحو مئة ألف من مواطنيه اليهود إلى إسرائيل. ثمّ وافق الإتحاد السوفياتي بقيادة غورباتشوف على طلب إسرائيل نقل جميع المهاجرين اليهود الروس في الطائرات مباشرة من موسكو إلى تل أبيب، ومَنَحَ إبتداءً من أكتوبر 1989 تأشيرة خروج من الإتحاد السوفياتي صالحة للسفر إلى إسرائيل فقط.[3] وبذلك تمكّنت إسرائيل ليس فقط من فتح أبواب الإتحاد السوفياتي أمام الهجرة اليهودية، وإنما أيضًا توجيهها إلى إسرائيل فقط.

---

[1]– خالد وليد محمود، **آفاق الأمن الإسرائيلي...**، مرجع سابق، ص94، 95.

[2]– المرجع نفسه، ص99.

[3]– محمود محارب، **بوتين والهجرة المليونية اليهودية الروسية إلى إسرائيل**، موقع عرب 48 الإلكتروني، 31 أكتوبر 2016.

لقد هاجر بين عامي 1990 و1995، أكثر من 800 ألف يهودي من الإتحاد السوفياتي السابق إلى إسرائيل. مذاك إستقرت موجة الهجرة، على الرغم من أنّ 7500 يهودي ما زالوا يهاجرون سنوياً من روسيا والدول الأعضاء في رابطة الدول المستقلة، ويمثلون ثلث الهجرة السنوية إلى إسرائيل. وقد احتفل الكيان الإسرائيلي في 7 مايو 2000 بقدوم المهاجر رقم مليون منذ بداية الهجرة السوفياتية في سبتمبر 1989، وقام رئيس الوزراء إيهود باراك بإستقباله بنفسه.[1] في العام 2006 كانوا يشكلون حوالي 20٪ من المستوطنين الإسرائيليين، كما أنّ 10% من أعضاء الكنيست ولدوا في الإتحاد السوفياتي السابق ويتحدثون الروسية بطلاقة. في الواقع، أصبحت بعض المناطق في المستوطنات الإسرائيلية جيوبًا ناطقة باللغة الروسية حيث حلّت الأبجدية السيريلية محل اللغة العبرية، واضطر العديد من المتاجر لتكييف المنتجات الغذائية على رفوفها.[2] إنّ الوزن الديمغرافي لليهود السوفيات داخل إسرائيل، يُعدّ أكبر نقلة ديموغرافية في تاريخ الكيان الصهيوني، سواء من الناحية العددية (هجرة مليون مستوطن خلال عقد من الزمن)، أو من الناحية المهنية نظراً إلى أنّ نسبة مرتفعة منهم تنتمي إلى الفئات المهنية المؤهلة للنهوض بأيّ مجتمع. وتكفي الإشارة إلى ما ذكره رئيس الحكومة والوزير السابق، شمعون بيريز ، في كتاب بعنوان "المليون الذي غيّر الشرق الأوسط.. الهجرة السوفياتية إلى إسرائيل"، الصادر في العام 2013، حيث قال: "بدون هذه الهجرة، كنا في حالة ميؤوس منها، أتدركون ماذا تعني إضافة مليون يهودي؟"

لم تكن حياة اليهود الروس في إسرائيل سهلةً في بداية هجرتهم، لقد واجهوا مشكلة الإستيعاب. لم تستطع الحكومة أن تؤمن لهم المساكن في السنوات الأولى فاضطرت إلى توسيع الإستيطان في الضفة الغربية وقضم المزيد من الأراضي الفلسطينية. كما عانوا من مشكلة البطالة فهي لم تستطع تأمين فرص العمل لهم خصوصاً العمل الذي يتوافق مع مؤهلاتهم العلمية العالية. وحين أدرك المهاجرون الروس صعوبة اندماجهم في الكيان الصهيوني، شرعوا في إنشاء غيتو خاص بهم. حيث يعتبر المهاجرون الروس أنفسهم وسط مجتمع روسيًّ كامل الأركان، من حيث إحتفاظهم بالعادات والتقاليد الروسية والثقافة الروسية ولاسيّما اللغة، والمنهج العلماني كمسار للحياة الإقتصادية والإجتماعية.

في إستطلاع رأي للمهاجرين الروس أُجري عام 2007، أجاب 91% أنه من المهم لهم أن يعرف أولادهم اللغة الروسية، وأكّد 73% منهم أنه من المهم وجود أحزاب سياسية يقودها المهاجرون الروس. كما شمل

---

[1]- وسام أبي عيسى، **الموقف الروسي تجاه حركة حماس...**، مرجع سابق، ص14.

[2]- Pierre Razoux, **The keys to understanding...**, op.cit, p.3.

الإستطلاع نسبة الذين يتابعون وسائل الإعلام الروسية، حيث يشاهد 77% من الروس في الكيان الصهيوني محطات التلفزة التي تبث برامجها من روسيا مباشرة. كما يستمع 40% من المهاجرين الروس إلى راديو "ريكع" الناطق باللغة الروسية.[1] كذلك فهم يعتمدون وسائل إعلام خاصة بهم يتمّ إصدارها باللغة الروسية كالصحف والمجلات (جريدة أخبار الأسبوع، جريدة بلدان، مجلة ألف...)، وقناة تلفزيونية (Israël plus) التي أُنشئت عام 2002، بالإضافة إلى المسارح والمطاعم للطعام الروسي، وقاعات أفراح ومكتبات.[2] المهاجرون الروس ملتزمون بشدة بالإستمرارية الثقافية الروسية، بل ويشعرون بأنها أسمى وأرقى من الثقافة الإسرائيلية.

كما أنّ نسبة 90% من المهاجرين الروس الجدد يتواصلون فيما بينهم باللغة الروسية، في حين أنّ إكتساب اللغة العبرية يجري بشكل بطيء جداً. وعلى العكس تركت اللغة الروسية أثرها الكبير على اللغة العبرية حيث أُدخلت كلمات كثيرة من اللغة الروسية على العبرية.[3] وقد حصلت اللغة الروسية في العام 2008، على وضعية اللغة الرسمية الثانية في المدارس الإسرائيلية.

في السنوات التالية نجح أكثر من نصف المهاجرين الروس الجدد بالإندماج في المجتمع الإسرائيلي، مع الإحتفاظ بثقافتهم الروسية. تجلّى هذا الإندماج عبر مشاركة كبيرة من قبل هؤلاء المهاجرين في الحياة السياسية والثقافية والتربوية الإسرائيلية. حيث يقول المحاضر في جامعة بار إيلان والعالِم الرئيسي في وزارة الإستيعاب والهجرة الإسرائيلية الدكتور زئيف حنين، أنّ حوالي 50% من اليهود الروس في إسرائيل إنخرطوا في حياة الدولة وأصبحوا عنصراً مركزياً ومهماً في مختلف مجالات الحياة الإسرائيلية.[4]

لقد كان الكيان الصهيوني يقوم على إثنية واحدة تسيطر على النظام الكلي للدولة وهي الإشكناز. مع مجيء السوفيات الذين أثبتوا جدارتهم، أحدثوا تغييراً دراماتيكياً في الحياة السياسية الصهيونية، ليس فقط لأنهم أكبر تجمع إثني في الكيان، بل لأنهم أدركوا قيمة عددهم ومكانتهم في قلب هذا الكيان ما زاد من طموحهم السياسي. فقد كشفت الإنتخابات الإسرائيلية في فبراير 2009، عن قوة صاعدة داخل الساحة

---

[1]- خالد سعيد، **المهاجرون الروس قادمون**...، مرجع سابق، ص238، 239.

[2]- محمود العلي، **المجموعات الإثنية في الكيان الصهيوني جذورها وتأثيراتها الراهنة**، سلسلة مقاربات، المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق، بيروت، العدد 19، نيسان 2013، ص105.

[3]- خالد سعيد، **المهاجرون الروس قادمون**...، مرجع سابق، ص240.

[4]- محمود العلي، **المجموعات الإثنية في الكيان الصهيوني**...، مرجع سابق، ص 104.

السياسية الإسرائيلية، ألا وهي كتلة المهاجرين الروس حينما حصل حزب "يسرائيل بيتنو" على 15 مقعد، ليحتل المكانة الثالثة في الكيان الصهيوني، ويتولى رئيسه أفيغدور ليبرمان حقيبة الخارجية.

إستطاع الروس الإستفادة من أعدادهم الكبيرة داخل الكيان الصهيوني التي تشكل قوة إنتخابية ضخمة، إلى جانب ما يتمتعون به من كفاءات عبر بلورتها في تكوين أحزاب سياسية إثنية. لعب النظام الإثني القومي داخل إسرائيل دورًا في تحفيز الروس على التعبئة الإثنية، فتمتعوا بثقل سياسي موازٍ للأحزاب السياسية السائدة. كوّنوا حزب "يسرائيل بعالياه" بزعامة ناتان شرانسكي عام 1996، والذي يعني إسرائيل في الهجرة. ثم حزب "يسرائيل بيتنو" الذي يعني إسرائيل بيتنا، بزعامة أفيغيدور ليبرمان عام 1999، الذي نشأ بمساعدة رئيس الوزراء اليميني آنذاك بنيامين نتنياهو.[1] ثمّ أصبحت الزيارة الرسمية إلى روسيا ممراً لا مفرّ منه لأيّ زعيم إسرائيلي يسعى إلى جذب الناخبين الناطقين بالروسية الذين تكون أصواتهم حاسمةً في نتائج الإنتخابات الإسرائيلية.

وأثناء حملته الإنتخابية في العام 2009، أعلن ليبرمان عن ضرورة تشكيل تحالف روسي-إسرائيلي، مقابل الشراكة الأمريكية- الإسرائيلية، وذلك لتوطيد مواقع النخبة الصهيونية الناطقة باللغة الروسية في أجهزة السلطة الإسرائيلية، وللتأكيد على مدى إرتباط المهاجرين الروس بمسقط رأسهم.

من جهة ثانية، ساهمت شخصيات قادمة من الإتحاد السوفياتي وناطقة باللغة الروسية في تأسيس الكيان الصهيوني وقيادته مثل **بن غوريون**، صاحب تسمية الدولة العبرية "إسرائيل". وأول رئيس للحكومة الصهيونية تولى رئاستها تسع مرات أولها عام 1948، وآخرها عام 1963. **غولدا مائير** المولودة في كييف وتولت رئاسة الحكومة عام 1969. **مناحيم بيغن** الذي انتُخِب رئيساً للحكومة بين عامي 1977 و1983. وزير الخارجية السابق **أفيغدور ليبرمان**، المولود في كيشيناو (مولدوفا السوفياتية)، الذي تسلّم في العام 2007 وزارة التخطيط الإستراتيجي.[2] إنّ نفوذ اليهود الروس في إسرائيل يزداد مع تزايد المناصب التي يتولونها. ففي العام 2013 خُصّصت وزارة الخارجية للنائب أفيغدور ليبرمان، كما كان رئيس الكنيست يولي أدلشتاين، ورئيس الوكالة اليهودية نتان شرانسكي، ورئيس لجنة الخارجية والأمن هو أيضاً ليبرمان، ونائب وزير الخارجية زئيف ألكين جميعهم كانوا من الروس.[3]

---

[1]– خالد سعيد، **المهاجرون الروس قادمون...**، مرجع سابق، ص264.

[2]– محمود العلي، **المجموعات الإثنية في الكيان الصهيوني...**، مرجع سابق، ص108.

[3]– نظير مجلي، **اليهود الروس في إسرائيل أكثر تطرفاً في السياسة وأكثر التصاقاً بالثقافة الروسية**، صحيفة الحياة، 3 سبتمبر 2013.

إنّ التأثير السياسي لليهود الروس لم يقتصر على السياسة الداخلية الإسرائيلية بل أيضاً على مواقف إسرائيل السياسية تجاه روسيا. على سبيل المثال الموقف الإسرائيلي من ضمّ شبه جزيرة القرم إلى روسيا، التي تضمّ 10 آلاف يهودي. فقد أدت عملية الضمّ هذه إلى تفاقم الإنقسامات الداخلية الإسرائيلية. في مواجهة هذا الإنقسام داخل المجتمع الناطق بالروسية، لم يكن لدى نتنياهو ما يكسبه بانتقاد بوتين علناً. على العكس من ذلك، فإنّ هذا كان سيؤدي إلى عزل جزء من الناخبين ذي الأصول الروسية.

كما يمكن أن نلحظ حضور الروس في الميدان العسكري الإسرائيلي، فقد دُمج الجنود المولودون في روسيا عن طريق "دفع الدم" في لبنان أو في الأراضي المحتلة خلال الإنتفاضة الثانية. وأظهروا روحاً قتالية هائلة خلال حرب تموز 2006 بين إسرائيل وحزب الله. هم الذين عانوا من أكبر الخسائر النسبية وحصلوا على أكبر عدد من الأوسمة للبسالة. اليوم يتم تقديرهم بحوالي 25٪ من الأفراد المقاتلين (أكثر بكثير من النسبة المئوية للسكان التي يشكلونها).[1] ويرى الدكتور زئيف حنين في ورقته المقدمة لمؤتمر هرتسيليا عام 2010، أن إستيطان اليهود الروس في فلسطين يشكل ضمانة لبقاء إسرائيل ليس على مستوى الزيادة العددية فحسب، وإنما على مستوى القوة العسكرية والتقنية التي وفرها المستوطنون الجدد.[2]

تجدر الإشارة إلى أنّ التداخل السكاني بين روسيا وإسرائيل يبرز أيضاً من خلال طلب اللجوء إلى إسرائيل من بعض الأوليغارشيين الروس الذين سعى بوتين إلى محاربتهم فور توليه السلطة، ونذكر منهم ليونيد نيفزلين، فلاديمير دوبوف، ميخائيل برودنو، ميخائيل خودوركوفسكي وفلاديمير غوسينسكي (رجال أعمال)، وأركادي غايدماك (تاجر أسلحة مشتبه به). صدرت بحقهم أحكام قضائية ولكنهم فرّوا إلى إسرائيل حيث حصلوا على الجنسية الإسرائيلية، ورفضت الحكومة الإسرائيلية طلبات موسكو بتسليمهم.[3]

كذلك تتأثر العلاقات بين الطرفين بطريقة التعامل الروسي مع اليهود الروس فمثلاً الحكم القضائي الروسي الذي أُصدِر بحق الملياردير اليهودي الروسي خودروكوفسكي في ديسمبر 2010، بتهمة الإحتيال وغسل الأموال، أثار امتعاض إسرائيل، رغم كونه شأناً داخلياً روسياً يتعلق بتوجه الدولة الروسية لمحاربة الفساد الذي إستشرى في عهد الرئيس يلتسين. وقد سبق ذلك أن أثارت عملية الإصلاح التي قام بها بوتين فور توليه السلطة، حملة عنيفة من جانب الكيان الصهيوني ضد الرئيس بوتين الذي اتهم

---

[1]-Pierre RAZOUX, **The keys to understanding....** op.cit., p.3.

[2]- محمود العلي، **المجموعات الإثنية في الكيان الصهيوني**...، مرجع سابق، ص116.

[3]-Ilya Bourtman, **Putin and Russia`s**, op.cit., p2.

بمعاداة السامية، ما شكّل أحد الأسباب الرئيسية وراء زيارة بوتين إلى إسرائيل في العام 2005 لتهدئة الجانب الإسرائيلي وإعطاء دفعة للعلاقات الروسية الإسرائيلية.[1]

من ناحية أخرى، وكمبادرة حسن نية من جانب روسيا تجاه إسرائيل، وخلال زيارة نتنياهو إلى موسكو للإحتفال بمرور 25 عاماً لإستئناف العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين في يونيو 2016، تمّ الإتفاق بين وزير الهجرة الإسرائيلي ووزير الإقتصاد الروسي على دفع تعويض التقاعد لمئات ألوف اليهود الروس الذين تركوا روسيا بين الأعوام 1970 و1992، ويتراوح عددهم بين ثلاثين ألفاً ومئة ألف شخص. حيث ينال كل شخص منهم مبلغاً شهرياً يتراوح بين 120 و250 دولار وفقاً لقوانين التقاعد الروسية وبحسب سنوات العمل التي قضوها.[2] فالقيادة الروسية تؤمن بأهمية الحفاظ على اليهود الروس كجزء من الشعب الروسي، حيث اعتبرهم فلاديمير بوتين مواطنين روس وأسماهم الشتات الروسي في إسرائيل.

من أوجه التعاون الثقافية الأخرى، إقامة عدد من المعارض الروسية في إسرائيل وعلى رأسها معرض "من روسيا مع المحبة" في تل أبيب طيلة التسع سنوات الماضية وشارك في المهرجان كبار الفنانين الروس، وقامت برعايته شركات إسرئيلية على رأسها شركة هاتف "بيزيك".[3]

يمكن فهم تمَسك إسرائيل بتشجيع هجرة اليهود إليها والعمل للقضاء على الهجرة المعاكسة، من خلال الإحصائيات التي نشرها مكتب الإحصائيات المركزي في إسرائيل في 15 أغسطس 2017، حول نزعات الهجرة في عام 2015. فبحسب تلك الإحصائيات يزيد عدد أولئك الذين غادروا إسرائيل ليعيشوا في الخارج –لا سيما في روسيا– لفترات طويلة أو بصورة دائمة، عن أولئك الذين قدموا إلى إسرائيل بضعفين: إذ بلغ عدد المغادرين 16800 شخص مقابل القادمين 8500 شخص. ويعتبر عدد اليهود القادمين في عام 2015 الأدنى منذ 12 عاماً، بعد أن كان هذا المؤشر يتراجع بشكل تدريجي منذ عام 2012.[4] وكان العائدون إلى روسيا إما تقنيين أو رجال أعمال خبروا الفرص في السوق الحرة وعادوا ليستفيدوا من سنوات الإزدهار في روسيا.

---

[1]– خالد سعيد، **المهاجرون الروس قادمون...**، مرجع سابق، ص 67، 68.

[2]– مي ياسر أحمد حمام، **العلاقات الروسية الإسرئيلية في عهد بوتين...**، مرجع سابق.

[3]– المرجع نفسه.

[4]– **اليهود يهجرون إسرائيل**، RT arabic، 16 أغسطس 2017.

لذا يمكن القول أنّ روسيا باتت تملك ورقة ضغط مهمة على إسرائيل وهي تشجيع الهجرة العكسية من إسرائيل إلى روسيا. حيث أنّ تحسن الأوضاع الإقتصادية في روسيا بفعل عائدات النفط والغاز، إلى جانب الإصلاحات الإقتصادية التي قام بها بوتين منذ توليه السلطة، حوّلت روسيا من بلد ينفر منه اليهود إلى بلد يجذبهم، خصوصاً في ظلّ تراجع الأوضاع الإقتصادية في إسرائيل والعامل الأمني المتمثل بفشل تحقيق السلام. في المقابل، إن إحتفاظ نصف اليهود الروس بالجنسية الروسية إلى جانب الجنسية الإسرائيلية، يؤهل الكثير منهم خاصةً رجال الأعمال، لكي يلعبوا دوراً ضاغطاً على روسيا لصالح الكيان الصهيوني، لأنهم هاجروا إلى بلد يعتبرونه مستقبلهم، وأنّ إسرائيل تطورت بسبب هجرة الروس إليها. ففي عام 2010، عاد آلاف من المهاجرين السوفيات إلى روسيا وبيلاروسيا وأوكرانيا، ولكن معظم الذين رجعوا إلى بلدانهم الأصلية إحتفظوا بالجنسية الإسرائيلية.

لا يتمثل الحضور الثقافي الروسي في الكيان الصهيوني بالسكان الناطقين باللغة الروسية فحسب، بل أيضاً بتراث روسيا المتمثل في كنائس وأديرة ومبانٍ متنوعة، وقطعٍ من الأرض التي اقتنتها الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في فلسطين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وتشير بعض المصادر إلى أنّ مجموع مساحة الممتلكات الروسية في فلسطين يتروح بين 1.5 إلى 2% من إجمالي مساحة فلسطين التاريخية. ويقع الجزء الأكبر من هذه الأراضي في مدينة القدس المحتلة وضواحيها. في أكتوبر 1964 وقعت وزيرة الخارجية الإسرائيلية آنذاك غولدا مائير والسفير السوفياتي في تل أبيب آنذاك ميخائيل بودروف إتفاقية سميت "الصفقة البرتقالية" باعت بموجبها حكومة نيكيتا خروشوف إلى إسرائيل 22 منشأة واقعة على أرضها مقابل سعر بخيس جداً.[1]

طُرحت مسألة الأملاك الروسية مجدداً في أوائل التسعينيات من القرن الماضي. فحين زار وزير الخارجية الروسي يفغيني بريماكوف تل أبيب في العام 1996، سُلِمت إليه وثائق تُثبت لروسيا الحق في الأملاك المذكورة، فتسلمت روسيا بعض المباني الكنسية. وطالت عملية تسليم مبانٍ أخرى، ذلك أنّ إسرائيل سعت إلى ربط تسوية قضايا المُلكية بحلّ قضايا السياسة الخارجية بين الطرفين.[2]

---

[1]- خالد سعيد، **المهاجرون الروس قادمون...**، مرجع سابق، ص 95.

[2]- المرجع نفسه، ص97.

هكذا فإنّ المصالح الثقافية والقومية المتمثلة باليهود الروس، كان لها تأثيرها على العلاقات الروسية الإسرائيلية منذ قيام دولة روسيا الجديدة في عهد بوريس يلتسين الذي شهد أكبر موجة هجرة روسية إلى إسرائيل. ثمّ تعمق أثر هذه المصالح في عهد فلاديمير بوتين الذي أولى أهمية كبيرة لدور اليهود سواء في روسيا أو المهاجرين اليهود في إسرائيل حينما اعتبرهم جالية روسية في إسرائيل، كون معظمهم يحملون الجنسيتين. كما وكان هذا العامل سيفاً ذو حدين، فمن جهة وطّد الروابط الإقتصادية والسياسية بين الطرفين عبر رجال الأعمال اليهود الذين سعوا إلى الإستثمار في دولتهم الأم بعد تحولها إلى إقتصاد السوق. ومن جهة ثانية لعب رجال الأعمال أداة ضغط على السياسيين الروس لمصلحة إسرائيل، مقابل إحتفاظ روسيا باللعب على وتر الهجرة المعاكسة من إسرائيل إليها عبر الإغراءات التي تقدمها إلى المهاجرين إقتصادياً وأمنياً.

صدر من هذه السلسلة



